

جدلية الخطاب والتغيير الاجتماعي في مباراة غزوة بدر الكبرى

The Dialectic of Discourse and Social Change in the Duel of Bader Great Foray

أ.م.د. حيدر غضبان محسن

جامعة بابل/ كلية الآداب

Asst. Prof. Dr. Haider Ghadhban Muhsin

University of Babylon/ College of Arts

[Haider11291@gmail.com](mailto:Haider11291@gmail.com)

### المستخلص :

يتناول هذا البحث الصراع الخطابي والاجتماعي في حادثة المباراة في غزوة بدر الكبرى للكشف عن جدلية الخطاب والتغيرات الاجتماعية في تلك الغزوة في ضوء المقاربة الجدلية العلائقية، ويأتي اختيار هذه المقاربة أداة للتحليل، وهي من مقاربات التحليل النقدي للخطاب، من دون المقاربات الأخرى؛ لكونها تهتم بالجدلية العلائقية بين الخطاب والنظم الاجتماعية، بمعنى أنها مقارنة تعنتي بالكشف عن هيمنة النظم الاجتماعية ومحاولة تلك النظم تسليع خطاباتها بما يؤهلها لإعادة إنتاج نفسها أو زيادة تلك الهيمنة، والآليات الخطابية التي تجعل من المستهلكين خاضعين لتلك الهيمنة، هذا من جهة، ولأنها، من جهة أخرى، تسعى إلى تسليط الضوء على خطاب المقاومة والرفض -إن وُجد- لتسليع خطابات السلطات المهيمنة. وهو ما يتجلى في واقعة المباراة في غزوة بدر الكبرى.

وفي ضوء ما سبق اقتضت طبيعة البحث أن ينقسم إلى أربعة محاور؛ تناول المحور الأول جدلية الخطاب والتشييدات الاجتماعية (مهاده نظري)، ورصد المحور الثاني تشييد ممارسة المباراة تاريخياً، وعالج

المحور الثالث تغييرات تشييدات المبارزة في غزوة بدر وأثر الممارسة الخطابية فيها، وخصّصت المحور الرابع بالخاتمة؛ التي عرضتُ فيها نتائج البحث.

الكلمات المفتاحية: تحليل الخطاب، التحليل النقدي للخطاب، المقاربة الجدلية العلائقية، الصراع الاجتماعي، غزوة بدر الكبرى.

### **Abstract:**

This study tackles the discursal and social issue in the duel incident in Bader Great Foray to discover the dialectic of the discourse and the social changes in that foray in the light of the dialectical-relational approach. This approach is chosen as an analytical tool because it is concerned with the relational dialectic between discourse and social structures and that it takes care of revealing the dominance of social structures and their attempt to commodify their discourses in a manner that qualifies them to reproduce themselves or increase that dominance, and the discursive mechanisms. This makes consumers subject to that domination, on one hand, and it seeks, on the other hand, to shed light on the speech of resistance and refusal, if any, to commodify the speeches of the dominant authorities. This, we believe, is evident in the incident of the duel in Bader Great Foray.

In light of the above, this study is divided into four parts. The first is a theoretical background that deals with the dialectic of discourse and social structures. The second part observes the historical construction of duel practice while the third deals with the changes of duel practices in Bader Great Foray and the impact of discursive practices on it. The fourth part concludes the study by displaying its results.

**Keywords:** *Discourse Analysis, Critical Discourse Analysis, Dialectical, Relational Approach, Bader Great Foray*

المقدمة:

جدلية الخطاب والتشييدات الاجتماعية ومنهج دراسته (مهاده نظري):

### 1.1. مفهوم الجدلية:

يتبنى هذا البحث في النظرة الجدلية بين الخطاب والتشييدات الاجتماعية رؤية فيركلاف بأن "الخطاب لا يقتصر على تصوير أو تمثيل كيان أو علاقات اجتماعية، بل إنه ينتج أو يشكّل هذه الكيانات والعلاقات" (نورمان

فيركلاف، 2015، صفحة 16) (نورمان فيركلاف، اللغة والسلطة، 2016، صفحة 60). فالنظم الخطاب تصوّراً للنظم الاجتماعية فقط، وليس الخطاب مصدراً للبناء الاجتماعي فقط" (نورمان فيركلاف، 2015، صفحة 88). فالعلاقة بينهما، من حيث التأثير والتأثير، هي علاقة جدلية أو تفاعلية وتبادلية وتعاكسية (حيدر غضبان، 2023، صفحة 1139)، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، تعني العلاقة الجدلية عند فيركلاف أن العناصر الاجتماعية ومن ضمنها الخطاب "مختلفة ولكنها غير منفصلة، أي ليست كلية الانفصال" (روث فوداك وميشيل مايير، 2014، الصفحات 338-339). وتأتي هذه الصورة لتأكيد صلة الخطاب بالبنية الاجتماعية، وأن على تحليل الخطاب عدم تجريد الخطاب من صيرورته الاجتماعية. ولا يمكن فهم الخطاب من دون وضعه في مكانه المناسب بين العناصر الاجتماعية الأخرى، فاللغات جزء من البنى الاجتماعية، والنصوص أحداث اجتماعية (نورمان فاركلاف، 2009، صفحة 16) و(حيدر غضبان، 2023، صفحة 1141).

## 2.1. منهج دراسة جدلية العلاقة بين الخطاب والتشييدات الاجتماعية:

يقسم فيركلاف الدراسات الاجتماعية إلى قسمين: أحدهما دراسات تهدف إلى تحسين الأداء، والأخرى دراسات تهدف إلى الكشف عن العلاقة الجدلية بين الخطاب والتغييرات الاجتماعية، وتنتمي هذه الأخيرة عنده إلى التحليل النقدي للخطاب (نورمان فيركلاف، اللغة والسلطة، 2016، صفحة 93). إذ يبحث التحليل النقدي للخطاب في نمطين من الممارسات الخطابية: أحدهما: ممارسات خطابية تعيد إنتاج السلطة وتحافظ عليها أو تزديدها، وهي ممارسات مهيمنة تحاول المحافظة على استبعاد المستهلكين واحتكار السلطة، ويخلو هذا النوع من الممارسات من الصراع الاجتماعي؛ لتبعية المستهلكين للسلطة وانعدام محاولات التغيير الاجتماعي. لذلك يهدف التحليل النقدي للخطاب في دراسة تلك الممارسات إلى الكشف عن نُظم تلك الممارسات الخطابية المهيمنة وبيان المعاني المستترة خلف ظاهر الخطابات. والنمط الآخر من الممارسات الخطابية هو ذلك النمط الذي يتضمّن صراعاً اجتماعياً؛ من حيث محاولة المستهلكين تغيير النُظم الخطابية وإعادة تشييد العلاقات الاجتماعية ليحابه بذلك هيمنة الممارسات الخطابية المهيمنة، ويكون خطاباً مواجهاً ومقاوماً للمهيمنة. ووظيفة المحلل النقدي للخطاب في الاتجاه الثاني زيادة على كشفه لأدوات إعادة إنتاج هيمنة السلطة - الكشف عن الصراع الخطابي الاجتماعي ووصف أدوات المقاومة والرفض لتسليح السلطة ومحاولة تغيير النُظم الاجتماعية وكسر نظام هيمنة السلطة (نورمان فيركلاف، اللغة والسلطة، 2016، صفحة 339 و341).

### 1.2.1. تحليل الخطاب بوصفه ممارسة اجتماعية:

يرى فيركلاف أن التحليل النقدي للخطاب يعالج الممارسة الخطابية بوصفها جزءا من الممارسة الاجتماعية، وينبغي تحليل الممارسة الخطابية في ضوء هذا المنظار بتشخيص خمسة عناصر هي: (الفعل والتفاعل)، و(العلاقات الاجتماعية)، و(الأشخاص)، و(العالم المحسوس)، و(الخطاب). فالخطاب جزء من الممارسة الاجتماعية (الخطابية)، ولا يعطي صورة وافية عن تلك الممارسة إلا بتضافره مع العناصر الأخرى المكونة للممارسة الاجتماعية (الخطابية). ويقسم فيركلاف (الخطاب) بوصف عنصرا من عناصر الممارسة الاجتماعية (الخطابية) إلى ثلاثة عناصر، هي:

- الأصناف؛ (طُرُق الفعل).

- الضروب؛ (طُرُق تمثيل).

- الأساليب؛ (طُرُق كينونة) (نورمان فيركلاف، 2015، الصفحات 87-88).

### 2.2.1. آليات تحليل العلاقة الجدلية:

يحدّد فيركلاف لتحليل العلاقة الجدلية بين الخطاب والتغيير الاجتماعي أربعة شروط هي: (الكشف عن العلاقة الجدلية بين الخطاب والتغييرات الاجتماعية، ورصد أثر الممارسة الخطابية في تغيير (المعرفة والعلاقات الاجتماعية والهويات)، واتباع المنهج التاريخي في التحليل بالنظر إلى الأجل الطويل لنُظم الخطاب فتأثير الخطاب في المنظومة الاجتماعية يحدث تدريجيا، وأن يكون التحليل نقديا بالبحث عن الأسباب الخفية لإنتاج الخطاب والسعي إلى التغيير الاجتماعي) (نورمان فيركلاف، 2015، الصفحات 20-21).

وسنقوم بتحليل واقعة المباراة في غزوة بدر الكبرى بمراعاة هذين الإجراءين، بمعنى مراعاة الكشف عن عناصر الممارسة الخطابية الخمسة، وتحليل الخطاب إلى عناصره الثلاثة، واتباع الشروط الرباعية لتحليل العلاقة الجدلية في مباراة غزوة بدر الكبرى.

### 2. تشييد ممارسة المباراة تاريخيا:

أروم في هذه الفقرة تحليل ممارسة اجتماعية بأدوات التحليل النقدي للخطاب بحسب المقاربة الجدلية العلائقية عند فيركلاف، تلك الأدوات التي أثبتت كفاءتها التحليلية على الرغم مما يشوبها من خلل في الاستشهادات (حيدر غضبان، 2023، الصفحات 1150-1151). وتلك الممارسة الاجتماعية التي سنحللها، هي ممارسة المباراة تاريخيا. إذ تتجسد في نظام المباراة الصراعات بين جبهتين تسعى كل واحدة منهما إلى إعادة

إنتاج نفسها أو جبهتين متصارعتين تسعى إحداها إلى إعادة هيمنتها وتسعى الأخرى إلى مقاومة تلك الهيمنة وإعادة تشكيل النُظُم الاجتماعية. وسننطلق هنا من الممارسة الاجتماعية بتشخيص النُظُم الاجتماعية التي رسخت فيها عبر تاريخها الطويل.

## 1.2. هيكل الممارسة الاجتماعية، نظرة تاريخية:

يرتبط الحديث عن هياكل الممارسات الاجتماعية بتاريخها، إذ لا يكتب الرسوخ للبنى الاجتماعية عموماً إلا بأجل طويل، ويكتب لها حينذاك الهيمنة على إنتاج الخطابات وتوزيعها واستهلاكها؛ إذ تبدأ فيه الممارسة بوصفها حادثة بسيطة ثم تتغير تدريجياً لتصير هيكلًا منظمًا له قواعده وضوابطه في الممارسة الاجتماعية ومن ثم تبدأ نفوذها على الممارسات الخطابية.

وقد تكون الممارسة الاجتماعية جزءاً من ممارسة اجتماعية أوسع، وبتعبير فيركلاف، تعد الممارسات الاجتماعية شبكات، وتؤثر البنية الاجتماعية في تنظيم الممارسات والأحداث التي تُفَعَّل فيها. فلبنية الاجتماعية هيمنة على كل أطراف العملية الاجتماعية؛ ممارسات (نُظُم)، وأحداث (أفعال). ولا وجود لحداث اجتماعي دون ضوابط تسيّره يتفق عليها أبناء المجتمع.

**1.1.2. الممارسة الاجتماعية (المبارزة) بوصفها جزءاً من ممارسة اجتماعية أكبر (الحرب):** تنتمي المبارزة بوصفها ممارسة اجتماعية، إلى ممارسة أوسع هي (ممارسة الحرب). وتُنظَّم البنى الاجتماعية المجردة شبكة الممارسات التي تكوّن ممارسة الحرب.

لم تأت المؤسسة العسكرية في الإسلام فجأة دونما سوابق في المناحي الفنية والفكرية، فللماضي العسكري العربي قبل الإسلام أثر في بناء المؤسسة العسكرية في مطلع الدعوة الإسلامية (سعد عبود سمار، 2013، صفحة 174).

وكان للعرب نوعان من الحروب: (الغارات والمغازي) و(حروب المواجهة). ولا تختلف الأخيرة عن الأولى في فنونها وتركيبها إلا في المواجهة المتفق عليها ثم حصول المبارزة قبل التحام الفريقين. والنوع الأخير أشد وأقسى من الغارات فيكثر الجرحى والقتلى فيها. ومن خصائصها أن القتال -في الغالب يكون بين مجموعات من القبائل اتفقت مصالحها وتحالفت فيما بينها ضد تحالفات أخرى (صالح موسى درادكة، 1986، صفحة 120 و123).

وكانت للعرب عادات في الحرب، منها: أنها تضرب لسيد القوم قبة تتفرد عن أخبية المقاتلين وهي رمز السيادة يزود المقاتلون عنها، ومن عاداتهم لبس الدروع والتطبيب، ومنها اصطحاب آلهتهم ومقدساتهم في المعارك لكسب المعركة، وأنهم كانوا ينادون بأسماء آلهتهم كما حصل في معركة أحد في قولهم: اعلُ هبل، وهو امتداد لاعتقادهم السائد عن نصره الآلهة لهم في معاركهم قبل الإسلام، ومن تلك العادات الثأر الذي تُخلفه الحروب وتذكیه الفتن، إذ لا تهدأ القبيلة حتى تأخذ بثأرها، ومنها عدم البكاء على قتلى الحروب خوفاً من شماتة الأعداء وهذا ما نصح به أبو سفيان عشيرته بعد غزوة بدر، وإن لم يلتزموا بنصحه (سعد عبود سمار، 2013، صفحة 177 و182 و186 و187 و192).

وما يعيننا من ذلك منزلة ممارسة المبارزة من الممارسة الحربية، فالمبارزة مما "درجت عليه العرب في حروبهم، المبارزة بين قادة الطرفين المتقاتلين، أو شجعانهم، قبل التحام الجيشين" (سعد عبود سمار، 2013، صفحة 183).

أما غايات أكثر حروب العرب قبل الإسلام فللحفاظ على مثلهم وما يعتقدون أنه حق وعدل وحرية وشرف (صالح موسى درادكة، 1986، صفحة 119). "وتدلنا أخبار الأيام أن أهل الرأي والخبرة -حكيم أو حكماء القبيلة- كانوا يوجهون قومهم ويرشدونهم إلى أفضل السبل لإحراز النصر أو دفع المهاجمين. وعن هذه الآراء الصادرة عن أهل الحنكة والتجربة كان القوم في الغالب يصرون. وغالبا ما كان هؤلاء الحكماء هم فرسان القبيلة القدامى، والذين تمنعهم الشيخوخة والعجز عن المشاركة في القتال" (صالح موسى درادكة، 1986، الصفحات 120-121).

تاريخيا لم تكن ممارسة الحرب غريبة على قريش ومن ضمنها ممارسة المبارزة، إذ تروي الأخبار أنهم خاضوا حروبا منها حرب الفجار الثانية التي وقعت بين قريش وكنانة من جهة وقيس من جهة أخرى، ومن بينها المبارزة (أبو فرج الأصفهاني، 2008، الصفحات 46/22-47) (سعد عبود سمار، 2013، الصفحات 183-184).

من هنا يتبين أن الممارسة الحربية عند العرب تضم ممارسات اجتماعية وأحداثا اجتماعية تنتمي إلى معتقداتهم وعاداتهم وطبيعتهم البدوية، ومن بين تلك الفعال فعالاً خطابية تتمثل بالخطابات التي تزيد الحماس وتمجيد الآلهة وغير ذلك.

## 2.1.2. نظام المبارزة:

تضرب المبارزة بجذورها التاريخية إلى أقدم الحضارات، فمنذ عصر البطولة الإغريقية في عام 1400 ق.م. وفي عام 1200 ق.م بدأ الإغريق بالإغارة على الإمبراطورية المصرية والحيثية. وكان المحاربون يذهبون إلى ميدان القتال في العربات الحربية ثم يرتجلون ويخوضون قتالا فرديا (فرد ضد فرد) بين هتافات أتباعهم وكان تسليحهم بسيطا لتسهيل حركتهم فيحمل كل منهم درعا مستديرة ورمحين للقذف وسيفا مستقيما، أما القوس فأصبح سلاحا محتقرا ولا يستخدمه إلا الجبناء، فإذا لم تحسم الرماح الأمر تتبع بمبارزة بالسيوف لإنهاء الصراع" (ألفريد مارشال مونجمري، 2021، صفحة 77/1).

ليست المبارزة ممارسة اجتماعية صرفة، إذ تتطوي على جملة عناصر منها الخطابية ومنها غير الخطابية، يقول جواد علي في وصف هيكل المبارزة: "تبدأ المعركة في الغالب بالمبارزة، بأن يخرج من كل جانب محارب أو أكثر، يتبخثرون تباهاً بأنفسهم، وقد يتحلقون ويتعطرون، وينشدون شعراً يفاخرون فيه بأنفسهم وبأهلهم، ويقبائلهم وبأحسابهم وأنسابهم، وقد يسأل المبارز مبارزه فإذا وجد أنه غير كفاء له انتقصه ورفض مبارزته. أما إذا وجد أنه كفؤ له، بارزه وضاربه، فيكر أحدهما على الآخر، وهكذا تستمر المعركة مبارزة بين محاربين أو أكثر، حتى تنتهي بالتحام قد يؤدي إلى هزيمة أحد الطرفين، أو لا يؤدي" (جواد علي، 2001، صفحة 112/10).

وللمبارزة ضربان إما أن يتفق المتبارزين على إنهاء القتال إذا فاز أحدهما على الآخر وانضمام جيش المنهزم إلى جيش المنتصر، أو الاتفاق على استمرار القتال. وفي ضربي المبارزة غايات وأهداف، إذ يضم الاتفاق على إنهاء القتال حقن الدماء والحفاظ على أرواح المقاتلين، ويؤدي استمرار القتال بعد المبارزة إلى ارتفاع معنويات الجيش للحرب إذا ما انتصر مبارزهم على مبارز العدو، وانكسار العدو نفسيا بانهزام مبارزهم (سعد عبود سمار، 2013، الصفحات 183-184) وينظر شواهد هناك.

وبحسب تصنيف فيركلاف للممارسة الاجتماعية، تحتوي ممارسة المبارزة على خمسة عناصر:

- الفعل والتفاعل: يتفاعل عنصرا المبارزة (المتبارزين) في واقعة القتال، بموافقة الطرفين على المبارزة لكونهما كفاين متساويين في المنزلة؛ لينتج عن ذلك انتصار أحد الطرفين على الآخر، ويسبب ذلك الانتصار (استهلاك) أو (نتيجة) إما حقن الدماء وإنهاء القتال، أو إنتاجه للوصول إلى ناتج رفع حماس جيش المبارز المنتصر وانكسار جيش المبارز المنهزم.
- العلاقات الاجتماعية: تتمثل العلاقة الاجتماعية في ممارسة المبارزة بأمرين؛ أحدهما: الصراع على السلطة والقطيعة، والآخر؛ علاقة التأييد التي تتمثل بارتباط كل طرف من المتبارزين بتأييد جنوده ونصرتهم له.

- الأشخاص: وتشمل: المتبارزين، وهما يمثلان أسياد المجتمع وشجعانهم، وهما متساويان في المرتبة والمنزلة، إذ "جرت العادة أنه لا يخرج للمبارزة إلا قادة الجيوش والشجعان من الرجال" (أحمد محمد العليمي باوزير، 1980، صفحة 200). ويشمل أيضا الجنود في طرفي النزاع باختلاف مراتبهم وتنظيماتهم.
- العالم المحسوس: ساحة المبارزة وعدتهم من أسلحة وخيول ولباس ودروع وغيرها.
- الخطاب: هتافات الأتباع، وأهازيج المتبارزين، وما يدور بينهما من حوار أو اتفاق على نظام المبارزة وما ستؤول إليه.

لقد حصر فيركلاف ثلاثية الأصناف والضروب والأساليب بالخطاب لكونه عنصرا من عناصر الممارسة الاجتماعية، إلا أنني أرى أن هذه الثلاثية تنطبق على الممارسات الاجتماعية غير الخطابية أيضا، انطلاقا من رؤية فيركلاف إلى اللغة بوصفها شكلا من أشكال الممارسة الاجتماعية وليس بوصفها نشاطا مستقلا أو نتيجة للمتغيرات المقامية (نورمان فيركلاف، 2015، صفحة 86). ومادامت اللغة شكلا من أشكال الممارسة الاجتماعية أو صورة من صورها فهذا يعني أن ما لها يصدق على ما لغيرها من الممارسات الاجتماعية غير الخطابية. من هنا فإنني سأسقط تقسيمات الخطاب الثلاثية (المعرفة)، و(العلاقات) و(الهويات) عند فيركلاف على ممارسة المبارزة.

تقتضي تاريخية أعراف المبارزة وأجلها الطويل الهيمنة على تشكيل الوظائف الاجتماعية الثلاث بحسب فيركلاف (نورمان فيركلاف، اللغة والسلطة، 2016، صفحة 108): (المعرفة أو المضمون) و(العلاقات الاجتماعية) و(الهويات). فهي دفاع عن معتقدات وأفكار وقيم راسخة في ذات المتبارزين (معرفة)، وهي صراع على السلطة وقطيعة بين المتبارزين، وتأييد ونصرة من الأتباع (علاقات اجتماعية).

وترتسم (الهويات الاجتماعية) في المبارزة من حيث منزلة المتبارزين لكونهما من أسياد المجتمع وشجعانهم، وشخصية المتبارزين وطريقة أدائهم في المبارزة ومهاراتهم، زيادة على أن عنصر الهوية (الأساليب) (الفعل) في المبارزة هو عنصر ينتمي إلى ما أسماه فيركلاف بالأصناف القائمة التي تكون متغيرة ومقلبة باختلاف سياقاتها والظروف التي تولد فيها (نورمان فاركلوف، 2009، صفحة 136). فقد تختلف طبيعة المبارزة بين أن تكون بين فردين متقابلين فقط أو بين أكثر من فردين يقابل كل واحد من الخصوم خصما يبارزه، وقد يقابل مبارز واحد مجموعة مبارزين من الطرف الآخر، وقد يكون المبارز ممتطيا فرسا أو راجلا، إلى غير ذلك، وهذا يشمل طبيعة الخطاب في المبارزة إذ هو صنف متغير أيضا فقد ترافق المبارزة الأهازيج والأشعار وقد ترافقها الخطابات التي تمجد المبارز وعشيرته وقيمه وقد تتضمن شتما للخصم وانتقاصا منه إلى غير ذلك،



بل إن المبارزة قد تختفي نهائيا في كثير من الحروب كما تظهر في بعضها. بهذا تكون المبارزة ممارسة اجتماعية تنتمي في كونها فعلا إلى الأصناف القائمة أي المتغيرة والمنقلبة التي لا تتقوّل بقوالب ثابتة.

هذه الفئات الثلاث تتداخل في ما بينها وتوجد معا في الواقع العملي (نورمان فيركلاف، اللغة والسلطة، 2016، صفحة 72).

زيادة على أن تأثير تلك العناصر ووظائفها في طبيعة الخطاب وتشكيله، بين خطاب مناوئ للخصوم يوجهه المبارز لغريمه، وبين خطاب الاتفاق بين المتبارزين على طبيعة المبارزة وما ستؤول إليه، والحجاج الذي يدور بينهما، وبين هتافات أو خطابات مؤيديه يوجهها الأتباع لمبارزهم لنصرته وشدّ عزيمته.

### 3. تغييرات تشييدات المبارزة في غزوة بدر وأثر الممارسة الخطابية فيها:

يتبدى في حادثة المبارزة في غزوة بدر الكبرى صراع اجتماعي بارز يتمثل بالصراع بين طرفين متناقضين تمام التناقض (أحمد محمد العلمي باوزير، 1980، صفحة 90)، يمثلان العلاقة الجدلية بين الخطاب والنظام الاجتماعي بحسب فيركلاف (نورمان فيركلاف، اللغة والسلطة، 2016، صفحة 38): أحدهما: (تحكم النظام الاجتماعي بالخطاب) متجسدا بجيش قريش (الهيمنة)، ويمثل الآخر: (تحكم الخطاب بالنظام الاجتماعي) ويصوّره جيش المسلمين (المقاومة).

وسننطلق في تحليلنا من الممارسة الاجتماعية بتشخيص التغييرات التي حصلت فيها ومن ثم أثر الممارسة الخطابية في ذلك التأثير، وبهذا ستكون نقطة انطلاق التحليل عكسية، من التغيير في الممارسة الاجتماعية إلى أثر الممارسة الخطابية في ذلك التغيير، بخلاف نظرة فيركلاف التي تنطلق من الخطاب إلى الممارسة الاجتماعية. وسيكون تحليلنا للحادثة بوصف الوظائف الثلاث التي تتجلى في الممارسة الحربية في غزوة بدر الكبرى عموما قبل الحديث عن ممارسة المبارزة.

#### 1.3.1. بنية غزوة بدر:

سيكون منطلقي في استكناه أثر الخطاب في تشييد الواقعة مبنيا على وظائف الخطاب الثلاث: (المعرفة) و(العلاقات) و(الهويات). وتأكيدا لما سبق سأبدأ بوصف الممارسة الاجتماعية غير الخطابية ومن ثم أبين أثر تلك الوظائف الخطابية فيها.

##### 1.1.3. المعرفة:

يكمن أثر المعرفة بحسب فيركلاف في المعتقدات والأفكار المجردة التي يتسلح بها طرفا الصراع: (المسلمون وقريش).

استنتج الأستاذ أحمد محمد العليمي من الروايات التاريخية التي ساقها أن جيش قريش على الرغم من العدة والعدد إلا أنه جيش مزعزع النفوس وظاهره يختلف عن باطنه. فالظاهر القوة والعزم والثبات، والباطن الخوف والجبن والتردد (أحمد محمد العليمي باوزير، 1980، صفحة 138)، وهو أمر يشمل القادة، إذ تذكر الأخبار أن أمية كان كارها للخروج إلى بدر وأقنعه أبو جهل، فأخذ أمية يجبر الناس على الخروج للقتال (شمس الدين الكرمانى (ت786هـ)، 1981، صفحة 15/153)، وأن أبا لهب بعث مكانه رجلا (الحميري (ت213هـ)، صفحة 210/2) (أحمد محمد العليمي باوزير، 1980، صفحة 136 و137 و138). بل روي عن عتبة بن ربيعة أنه نصح قومه بعدم القتال ولا سيما أن قوافلهم بخير ولحقنا الدماء ومنع الثارات التي ستخلفها الحرب، إلا أن سادة قريش رفضوا نصيحته واتهموه بأنه يخشى حرب الأب مع ابنه (نور الدين الهيثمي (ت807)، 1994، صفحة 76/6) (أحمد محمد العليمي باوزير، 1980، الصفحات 151-152).

والهدف الظاهر هو الدفاع عن قافلة قريش إلا أن الهدف الحقيقي هو القضاء على الدين الإسلامي وإيقاف تهديد دعوة النبي محمد (ص) لنفوذهم وهيمنتهم.

أما جيش المسلمين فكان على العكس من ذلك؛ إذ كان متسلحا عقائديا وانتماء وولاء لرسالة النبي محمد (ص)، وعلى استعداد (للمقاومة) والتضحية بالأنفس والمال في سبيل تحقيق المثل السامية للرسالة الإسلامية. ومما عزز تلك المعرفة أو العقيدة بشرى الله تعالى لهم في قوله: «إِذْ يَعِدُّكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنِ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعِ دَابِرَ الْكَافِرِينَ» (الأنفال/ 7). ويروى أن النبي قد استشار المهاجرين والأنصار في مشاركته الحرب فاستبشروه وأبدوا رغبتهم في التضحية والجهاد (عبد العظيم المنذري (ت656هـ)، 1987، صفحة 2/310) (محمد أحمد باشميل، 1974، صفحة ج) (أحمد محمد العليمي باوزير، 1980، صفحة 105).

### 2.1.3. العلاقات:

سبق أن بيّنتُ العلاقة الجدلية بين الوظائف الثلاث والتعلق بينها بحسب فيركلاف، ويتبدى ذلك في أثر المعرفة في تشييد العلاقات الاجتماعية في طرفي النزاع، فسمّة العلاقة الاجتماعية بين أطراف جيش قريش يشوبها التشتت والتردد وضعف إيمانهم بهذه المعركة والخشية من نتائجها وانشقاق قياداتها في ضرورة الحرب، كما مر في موقف عتبة بن ربيعة. وعلى العكس من ذلك، نجد تماسك العلاقات بين أطراف جيش المسلمين لإيمانهم

الحقيقي بضرورة المعركة وتحشيدهم بالوعد الإلهي بالنصر واستشارة النبي لهم قبل الحرب وغير ذلك (أحمد محمد العليمي باوزير، 1980، الصفحات 142-149).

### 3.1.3. الهويات: تتمثل الهويات بالأشخاص المشاركين والأسلوب والمواقف.

يروى أن غزوة بدر حصلت عند بئر أو عين ماء سُمِّيَتْ باسم منشئها (بدر) وهو أحد أبناء قريش التي سُمِّيَتْ قريش قريشا نسبة إليه، وأنها حصلت في العشر الأواخر من رمضان (ابن هبيرة (560هـ)، 1317هـ، صفحة 10/7) (أحمد محمد العليمي باوزير، 1980، الصفحات 74-78). تتبين الأهمية الظاهرية لمكان الواقعة بكونه طريقا لتجارة قريش إلى الشام، إلا أننا نجد أهمية مضمرة تكمن في نفوس قريش والمسلمين وتؤثر في (المعرفة) والمعتقدات لرمزية هذا المكان وانتمائه إلى اسم تنتسب إليه قريش.

أما الشخصيات وما يرافقها من أساليب ومواقف فتظهر في أن جيش المسلمين كان بقيادة حكيمة متواضعة ممثلة بالرسول الكريم محمد (ص)، إذ رُوي أن في غزوة بدر كان لكل ثلاثة من الرجال بعير يتناوبون على ركوبه، وكان مع النبي علي بن أبي طالب وأحد الصحابة، فقال له صاحبه (اركب حتى نمشي عنك)، فيقول: (ما أنتما بأقوى على المشي مني، وما أنا أغنى عن الأجر منكما) (أبو عبدالله الحاكم، 1990، صفحة 23/3) (محمد أحمد باشميل، 1974، صفحة ج) (أحمد محمد العليمي باوزير، 1980، الصفحات 106-107).

ويتمثل العنصر الثاني: بقيادة جيش المسلمين المعروفين بالبأس والحكمة والصلاح كالإمام علي بن أبي طالب (ع) وعم الرسول الحمزة بن عبد المطلب (ع). ويتألف ثالثا من الجند الموزعين بحسب الأصناف بين رماة وحملة الرمح وحملة السيوف. وكانت عدة المسلمين ثلاثمائة وبضعة عشر مقاتلا، وفرسان. وكان المسلمون حفاة جياعا، إلا أنهم يتمتعون بعقيدة راسخة. وكان المسلمون من قبائل شتى من المهاجرين والأنصار (محمد أحمد باشميل، 1974، صفحة ب ج).

وكانت طريقة قتال المسلمين بالوقوف صفا واحدا كاصطفافهم للصلاة، "وفي ذلك من التماسك والثبات ما لا ينكر وهو مبدأ من مبادئ الحرب نفذه الرسول (ص) وأصحابه، فكان له الأثر الواضح في ثبات المسلمين (أحمد محمد العليمي باوزير، 1980، صفحة 177).

أما جيش قريش فتمثل بقياداته الممثلة بسادة قريش الذين عُرفت عنهم الهيمنة والجشع إضافة إلى نظرة الاستعلاء والغرور. وكان عدة المشركين ألف ومئة فرس. وكان المشركون ينحرون يوما عشرا ويوما تسعا من الإبل. وكان جيش قريش من أفراد قريش (محمد أحمد باشميل، 1974، صفحة ب ج).

وقد اعتاد جيش قريش على أسلوب الكرّ والفر في القتال، بأن يهجم المقاتلون بكل قوتهم فإن صمد العدو أو أحسوا ضعفاً نكسوا، ثم أعادوا تنظيمهم وكرّوا، وهكذا حتى يكتب لهم النصر أو الفشل، وهذا الأسلوب يُفقد القائد سيطرته ولا يؤمّن له أي احتياطي للطوارئ (أحمد محمد العليمي باوزير، 1980، صفحة 177 و178).

### 2.3. أثر الخطاب في تشييد ممارسة الحرب (غزوة بدر):

مرّ الحديث عن أثر الوعد الإلهي في تشييد جيش المسلمين، زيادة على تعبئة الخطاب القرآني السابقة لأفراد المسلمين، فالقرآن (نص موعظة) للعالمين في كل مكان وكل زمان، والمتلقون هم المؤمنون به وبدعوته. ويعد القرآن الكريم خطاب الرسالة الإسلامية الأساسي، فمعجزة الرسالة الإسلامية هي معجزة خطابية، وقد اتسمت العرب قديماً بأنها أمة خطابية، من هنا يظهر أهمية الخطاب في الدين الإسلامي بكونه عنصراً مركزياً فيها بخلاف الديانات الأخرى، إنه خطاب يدعو إلى إعادة بناء النظام الاجتماعي وتشييده من جديد ورفض هيمنة التقاليد السابقة. فالخطاب الإسلامي خطاب حديث يدعو إلى المساواة بين السادة والعبيد والحرية ومناهضة الهيمنة واحتكار السلطة ويدعو إلى العدالة في توزيع الثروات، واحترام المرأة بهذا مثل النص القرآني خطاباً مناوئاً ومقاوماً لهيمنة الممارسات الاجتماعية التقليدية الراسخة في عقلية العرب قبل الإسلام وعقلية المشركين التي يسود على بنيتها التباين الطبقي بين أسياد وعبيد وموالم، والتمييز بين الرجل والمرأة بالحط والانتقاص منها وهيمنة الطبقات المتسلطة واحتكارهم للسلطة والثروات وشيوع النزعات القبلية والتفاخر بالأنساب.

لقد تشرب المسلمون بطروحات الخطاب الإسلامي المغاير، وانعكست تلك الطروحات في إيمانهم المطلق بشخص النبي وبتعاليمه، وباستعدادهم للتضحية عنه وعن الدين الإسلامي، ولا سيما إذا علمنا أن متبعي الدين الجديد من قبائل شتى أغلبهم من الطبقات المضطهدة أو الطامحة للتغيير. ومن هنا مثل الخطاب الإسلامي -ممثلاً بنص القرآن الكريم وأحاديث النبي محمد (ص)- تغييراً خطابياً مناوئاً ومناهضاً ومتمرداً على أعراف الاستبداد السائدة، وهو نموذج للاتجاه المعارض للسلطة المهيمنة، فهو اتجاه مقاوم ذو أهمية كبرى في الصراع الاجتماعي كما يرى فيركلاف (نورمان فيركلاف، اللغة والسلطة، 2016، صفحة 103).

وانعكس هذا التغيير الخطابي في تغيير في الممارسة الاجتماعية عند من آمن به، يقول مونتجمري: "كان العرب يندفعون نحو القتال ويحركهم أقوى دوافع الحرب وهو الإيمان والعقيدة، ومثل هذه النبضات المتلاحقة لم يكن من السهل أن تخبو سريعاً. فالكثير منهم وخاصة في المراحل الأولى للفتوحات الإسلامية، كانوا يؤمنون إيماناً راسخاً بالدعوة الإسلامية متحمسين لها والغيرة عليها؛ وأدى هذا إلى اعتناقهم مبدأ صلوا هو الجهاد في سبيل الله، وقد تغلغل هذا المبدأ في قلوب أتباع الرسول (ص)" (ألفيلد مارشال، 2021، الجزء 2، الصفحة 189)، لخلق ذلك

التغيير الخطابى أيضا جبهة صراع ضد ممارسة الاحتكار. ومن أمثلة ذلك تواضع القيادات وأخذها بمبدأ المشورة الهادفة.

وعلى العكس من ذلك، تتجلى في ممارسات المشركين هيمنة البنى الاجتماعية على الممارسات الخطابية وعلى سلوكيات الأفراد غير الخطابية عموماً، وتعني الهيمنة: "الزعامة أو القيادة مثلما تعني السيطرة في جميع المجالات الاقتصادية والسياسية والثقافية والأيدولوجية في مجتمع من المجتمعات. والهيمنة خضوع المجتمع كله لسلطة إحدى الطبقات الأساسية" (نورمان فيركلاف، 2015، صفحة 119)، ويتجلى أثر البنية الاجتماعية المهيمنة في قرش بحجة أبى جهل في دعوته الناس للقتال لإنقاذ قوافلهم (أحمد محمد العليمى باوزير، 1980، صفحة 136) وهي مغالطة؛ لأن غاية خطاب أبى جهل المضمرة هي محاربة الدين الإسلامى وشخص النبى محمد (ص) وأنصاره، للمحافظة على هيمنته وتعزيزاً لسلطته وهو ما يؤكد فيركلاف بقوله: "الذين يملكون السلطة في لحظة معينة يضطرون إلى إعادة تأكيد سلطتهم باستمرار" (نورمان فيركلاف، اللغة والسلطة، 2016، صفحة 100)، عبر صناعة المعنى المستتر لإعادة إنتاج الهيمنة، ومنها خطاب أبى جهل مع أمية لإقناعه بالمشاركة في القتال بقوله: "يا أبى صفوان متى يراك الناس قد تخلفت وأنت سيد أهل الوادى تخلفوا معك" وفي رواية أخرى أن أبى جهل سلط عقبة بن أبى معيط - وهو رجل سفيه - عليه وعيره بأنه من النساء (موسى بن راشد العازمى، 2011، صفحة 362/2) (أحمد محمد العليمى باوزير، 1980، صفحة 136 و137). وهو خطاب (يضم) أمرين؛ أحدهما: إعلاء سلطة المخاطب وتذكيره بالسيادة والهيمنة. والآخر: اتهام المخاطب بالجبن والتشبه بالنساء إذا ما تخلف عن القتال وهي صفة منبوذة عند العرب. ومن ذلك أيضاً اتهام أبى جهل لعنتبة بن ربيعة الذى نصح قومه بعدم القتال بأنه جبان، كما مرّ. ومنها إجبار أبى جهل الناس على القتال بالقوة الناتجة عن هيمنته وسلطته. إذ تجسّد كل تلك الخطابات سيرورة إعادة صناعة السلطة عبر مضمرات خطابية تخالف ظاهرها.

من هنا يتبين أثر البنى الاجتماعية الراسخة والمتشعبة بأفكار التسلط والهيمنة والخداع والمكر في سلوك قادة قرش.

نحن إذن إزاء خطابين متصارعين: خطاب مجدد مناهض للهيمنة يسعى إلى التأثير في الممارسات الاجتماعية وتغييرها، وخطاب خاضع ناتج من ممارسات اجتماعية إكراهية راسخة منذ آجال طويلة، لهذا يعد خطاب قرش نموذجاً لرأى فيركلاف في أن التشييدات الاجتماعية تصبح بعد تشييدها ضروب واقع تؤثر في التشييد النصي أو الخطابى للاجتماعى وتحُد منه" (نورمان فاركلوف، 2009، صفحة 35).

### 3.3. أثر الخطاب في تشييد ممارسة المبارزة في غزوة بدر:

تعد المبارزة أول ممارسة في غزوة بدر الكبرى، ويقتضي التحليل أولاً عرض مرويات تلك المبارزة لتعطي تصوّراً واضحاً للتحليل.

**1.3.3. رواية واقعة المبارزة:** ورد في الروايات أنه قد خرج عتبة بن ربيعة بين أخيه شيبه بن ربيعة وابنه الوليد بن عتبة، حتى إذا فصل من الصفّ دعا إلى المبارزة فخرج إليهم فتية من الأنصار ثلاثة وهم؛ عوف ومعوذ أبناء الحارث - وأمهما عفراء - ورجل آخر يقال هو عبد الله بن رواحة فقالوا: من أنتم؟

فقالوا: رهط من الأنصار.

قالوا: مالنا بكم حاجة.

ثم نادى مناد بهم يا محمد أخرج إلينا أكفأنا من قومنا.

فقال رسول الله (ص): قم يا عبدة بن الحارث، قم يا حمزة قم يا علي.

فلما قاموا ودنوا منهم قالوا: من أنتم؟

قال عبدة: عبدة، وقال حمزة: حمزة، وقال علي: علي.

قالوا نعم أكفأ كرام.

فبارز عبدة، وكان أسن القوم، عتبة بن ربيعة، وبارزة حمزة شيبه ابن ربيعة، وبارز علي الوليد بن عتبة.

فأما حمزة فلم يُمهّل شيبه أن قتله، وأما علي فلم يمهل الوليد أن قتله، واختلف عبدة وعتبة بينهما ضربتين كلاهما أثبت صاحبه وكرّ حمزة وعلي بأسيا فهما على عتبة فأجهزا عليه، واحتملا صاحبهما، فحازاه إلى أصحابه (ابن حبان (ت354هـ)، 1417هـ، صفحة 1/171) (أحمد محمد العلمي باوزير، 1980، الصفحات 202-203). وفي رواية أن حمزة لعتبة وعبدة لشيبه وعلي للوليد وبالاتفاق أن قتل عليّ الوليد، وقتل حمزة الذي بارزه واختلف عبدة ومن بارزه بضربتين فوقعت الضربة في ركبة عبدة فمات منها لما رجعوا بالصفراء ومال حمزة وعلي إلى الذي بارز عبدة فأعاناه على قتله. والثبّت على أن حمزة قتل عتبة، وأن عليا قتل الوليد، وأن عبدة بارز شيبه (أحمد محمد العلمي باوزير، 1980، صفحة 205 و210) وينظر مصادره هناك.

وفي رواية أن عتبة قال للمبارزين الأنصار: "لا حاجة لنا فيكم إنما أردنا بني عمنا..." (جلال الدين السيوطي (ت911هـ)، 2005، صفحة 17/306) (أحمد محمد العليمي باوزير، 1980، صفحة 206).

وقد رافقت المباراة هتافات من الطرفين؛ هتاف المسلمين بتمجيد الله وتكبيره، وهتاف المشركين بتمجيد الآلهة.

### 2.3.3. تحليل واقعة المباراة:

تتمثل في المباراة جملة أشياء منها؛ بنية المباراة التي تتشكل من (الهويات والعلاقات والأساليب) وأهمية المباراة؛ التي تظهر بالآثار التي أنتجتها المباراة أو نتيجة ذلك الصراع بين المقاومة والهيمنة. لذلك سنتناول أولاً بنية المباراة، ومن ثمّ نحلل الآثار التي نتجت عنها في الممارسات الخطابية وغير الخطابية اللاحقة.

**1.2.3.3. هوية المبارزين ومعارفهم:** تبدأ حادثة المباراة بخروج عتبة وأخيه وابنه من صف جيش قريش وانفصالهم عنه وتوسطهم ساحة المعركة. ويمثل هؤلاء المبارزون (الشخصيات) التي تنتمي إلى جيش قريش.

ويبدو أن خروج عتبة للمبارزة واختياره للمبارزين نتيجة لخطاب سابق بينه وبين أبي جهل، إذ تذكر المرويات التاريخية -كما مرّ- أن عتبة نصح قومه بالانصراف عن القتال لأسباب، منها بسالة جيش المسلمين وحققنا للدماء، مما أدى إلى اتهام أبي جهل لعنتبة بالجبن، ومن ثم أجابه عتبة بأنه سيعرف من الجبان، فانصرف إلى المباراة ودعا أخاه وابنه معه. يكشف فعل الخطاب هذا عن (المعرفة) التي تتسلح بها هذه الشخصيات وتتجلى في عدة أمور، أولها؛ أنها شخصيات مهزوزة، لاعترافها ببسالة جيش الخصوم وقوته، فقد روي عن عتبة أنه نصح قومه بقوله: "إني أرى قوما مستميتين لا تصلون إليهم وفيكم خير" (موسى بن راشد العازمي، 2011، صفحة 2/395)، وفي رواية أخرى أنه قال لأبي جهل: "أما والله أني لأرى قوما يضربونكم ضرباً، أما ترون كأن رؤوسهم الأفاعي وكأن وجوههم السيوف، ثم دعا أخاه وابنه فخرج يمشي بينهما ودعا للمبارزة" (إبراهيم العلي (ت1425هـ)، 1995، صفحة 169) (أحمد محمد العليمي باوزير، 1980، صفحة 152). وثانيها: أن خروج عتبة للمبارزة لإثبات أنه ليس جباناً كما يتهمه أبو جهل، وهو ما يبدو في قول عتبة لأبي جهل: "ستعلم من الجبان المفسد لقومه" (أحمد محمد العليمي باوزير، 1980، صفحة 152). وثالثها؛ أنه غير مؤمن بالقتال حقناً للدماء وللنارات، وهو ما يظهر في قول عتبة: "يا قوم أطيعوني في هؤلاء القوم إن فعلتم لن يزال ذلك في قلوبكم ينظر كل رجل إلى قاتل أخيه وقاتل أبيه...". (إبراهيم العلي (ت1425هـ)، 1995، صفحة 169) (أحمد محمد العليمي باوزير، 1980، صفحة 151). ويظهر لنا سبب آخر يكشف عنه حوار عتبة مع أخيه في أثناء التحشيد للقتال في مكة قبل وقوع المعركة، والرواية هي: "وعزم عتبة بن ربيعة أيضاً على القعود، فقال له أخوه شيبه إن فارقتنا قومنا كان ذلك سبباً علينا فامض مع قومك، فمشى معهم" (ابن الأثير (ت630هـ)، 1997، صفحة

14/2)(أحمد محمد العليمي باوزير، 1980، صفحة 139). فخرج عتبة وأخيه إلى القتال دُفعا للسبّة والعار الذي سيلاحقهم وليس إيماننا بالمعركة وجدواها. وليس لديه خيار دون الخروج للمبارزة لأن خلافها يُثبت أنه جبان ومتردد.

بهذا تتشكل (معرفة) شخصيات مبارزي جيش قريش من أنها مهزوزة غير مؤمنة بالقتال، وأن سبب المشاركة بالقتال لدفع العار والسبة عنهم، وأن السبب الرئيسي للخروج إلى المبارزة إثبات أن عتبة وذويه ليسوا بالجبناء.

أما شخصيات مبارزي جيش المسلمين التي تتمثل بالأنصار الثلاثة الذين خرجوا للمبارزة أول الأمر ثم انسحبوا، وشخصية الإمام علي بن أبي طالب (ع) والحمزة (ع) وعبيدة، فهي شخصيات متدربة بالإيمان للنهوض بالتغيير الخطابي الإسلامي، ورفض الهيمنة ونتائجها، وضرورة هذه الحرب لكسر شوكة تلك الهيمنة واحتكار السلطة.

### 2.2.3.3. العلاقات الاجتماعية بين المبارزين وقيادتهم:

يظهر أن الشخصية المهيمنة على المعركة عموماً هي شخصية أبي جهل بحيث يمكن أن نسميه (القائد غير المباشر) لجيش قريش، وأن خلفه مع عتبة واتهامه له سبب خروج عتبة وأخيه وابنه للمبارزة. وشخصية أبي جهل هي شخصية مُفسدة كما يروى عن عتبة في قوله: "ستعلم من الجبان المُفسد لقومه". وأنها أيضاً شخصية حشّدت الجيش للقتال عن طريق إثارة النعرات والاتهام بالجبن وإغراء وجهاء قريش بأنهم وجهاء القوم، وإكراه الناس على القتال، وهو تحشيد مهيم وغير قائم على أسس صالحة تدفع المقاتلين للقتال بإيمان وعقيدة.

ومما يروى أن أبا جهل قال لعتبة بعد نصحه: "أنت تقول هذا؟ والله لو غيرك يقول هذا لأعضضته قد ملأت رنتك جَوْفَكَ رُعباً" (موسى بن راشد العازمي، 2011، صفحة 296/2)(أحمد محمد العليمي باوزير، 1980، صفحة 151). من كل هذا يتبين أن العلاقة بين المبارزين وقيادتها علاقة قطيعة وخلاف وتفكك ومشاحنة وبغضاء.

أما علاقة مبارزي جيش المسلمين بقيادتهم فهي علاقة متينة تربطها روح التأخي والتعاون ووحدة الهدف، لما تجسده تلك القيادة من معرفة وفعل.

### 4.2.3.3. الصراع في البنية الاجتماعية للمبارزة:

تتهيكلم المبارزة في غزوة بدر الكبرى من طرفي صراع؛ طرف ينشد التغيير وطرف ينشد المحافظة على قيم الهيمنة الراسخة في المجتمع القرشي منذ آجال طويلة قبل الإسلام، كما مرّ.



وينتمي خروج عتبة وهو يتوسط أخاه وابنه إلى وسط المعركة والدعوة إلى المبارزة إلى تقليد متوارث في حدث المبارزة. وكما مرّ إن الخروج بثلاثة متبارزين هو صنف قائم غير خاضع لنظام وإنما ينساق لظروف إنتاج الفعل فعتبة يروم بإخراج ذويه للمبارزة لدفع المسبة وتهمة الجبن عنه وعن ذويه الأقرب إليه بين صفوف جيش قريش.

ويأتي جواب جيش المسلمين بخروج ثلاثة من الأنصار بأمر من الرسول (ص).

ويعد هذا الفعل الاجتماعي غير الخطابى في جيش المسلمين تجسيدا لأعراف المبارزة المتوارثة بالاستجابة إلى دعوة الطرف الخصم للمبارزة، إلا أنه ينطوي على نسق مضمّر (معرفة مضمرة) تدعو إلى نبذ الطبقية وإلغاء التفرّد بالسلطة، فهو سلوك يضمّر الدعوة إلى المساواة بين الأفراد، وأن أفراد جيش المسلمين متساوون في العقيدة والاستعداد للذود عن دعوة الخطاب الإسلامي للتغيير، وأن لا قيمة للأنسب والأحساب في معيار تقييم أفراد المجتمع، مع علم الرسول (ص) بوجود نظراء في جيشه لمبارزي الخصوم حسبا ونسبا وشجاعة.

ويمارس عتبة خطابه بوصفه نتاجا لبنية اجتماعية متعارف عليها بسؤال المتبارزين وللتعرف إليهم ومعرفة مؤهلاتهم من حيث النسب والشجاعة والتاريخ البطولي، بقوله: (من أنتم؟) فيجب مبارزو الجيش الإسلامي: (رهط من الأنصار).

من هنا يأتي جواب عتبة بناء على أعراف المبارزة التي تقتضي منه إعلان الموافقة على المبارزة مع هؤلاء الأشخاص أو رفضها، ليؤكد بفعله الخطابى (النص الملفوظ) (المعرفة) التي يتبناها هو وذووه وهي ناتج موروث من بنية اجتماعية مهيمنة وراسخة وقديمة، قائلا:

(مالنا بكم حاجة. ثم نادى مناد بهم يا محمد أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا). وفي رواية أخرى: (لا حاجة لنا فيكم إنما أردنا بني عمنا...).

يمكن تأويل جواب عتبة وهو فعل أو (نص ملفوظ) هنا بعدة أمور تنتمي إلى (المعرفة) و(العلاقات الاجتماعية)، منها:

ترسيخ أعراف المبارزة والقيم التي تتبناها قريش والعرب بالتفاخر بالأنساب والسلطة، فهو يبرز علو نسب قريش واصطفائهم وأنهم أسياد العرب ووجهائهم، لهذا يرفض عتبة أن يبارز من هو أدنى مقاما ونسبا منه. ومن تلك الأمور النظر إلى نتيجة المبارزة فإن العرب لا تأسف على قتل شجعانها على يد مقاتل شجاع معروف ببسالته،

وتزدي موتهم على يد من هم أقل شأنا منهم، من ذلك ما روي عن أم عمرو بن ود العامري أنها لما قُتل ابنها على يد علي بن أبي طالب (ع) رثته قائلة: (ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، 1992، صفحة 234/3).

لو كان قاتل عمرو غير قاتله  
ما زلت أبكي عليه دائم الأبد  
لكن قاتله من لا يقاد به  
من كان يدعى أبوه بيضة البلد

وقد وافق النبي محمد (ص) على طلب عتبة وأخرج له الإمام علي (ع) والحمزة (ع) وأبا عبيدة. وتأويل موافقة النبي على طلب عتبة أنه تمشيا مع أعراف المبارزة التي تنص على أن طالب المبارزة إذا رفض الأشخاص الذين سيبارزهم اقتضى تغييرهم لحين قبوله، وأنه في حال رفضه بالتغيير قد يشار إليه بأنه أثر عدم تعرض ذويه من عمومته وأبنائهم ومقربيه للخطر وفي ذلك مخالفة لمشروع التغيير في الممارسات الاجتماعية السائدة. وأنه يخشى مبارزي الخصوم مما يعني إنهاء المبارزة برفع معنويات الخصوم بإثبات أنهم شجعان يهاهم الخصوم، وانكسار معنويات جيش المسلمين.

**5.2.3.3. مظاهرتسليخ خطاب المبارزة في جيش قريش:** إن فعل الخطاب بوصفه نصا ملفوظا هو سبب خروج مبارزي قريش، بمعنى أن الفعل غير الاجتماعي (الخروج للقتال) جاء نتيجة لفعل اجتماعي خطابي (النص الملفوظ) بين المتبارزين وقيادتهم من جهة، وبين عتبة وأخيه قبل غزوة بدر من جهة أخرى. ويتجلى تأثير ما هو (خطابي) بالفعل غير الخطابي (القتال) بتغيير معتقدات المبارزين من عدم القتال إلى القتال. فنص الحوار (إنتاج) أو (سبب)، وقاتل المتبارزين نتيجة (أو استهلاك). وتوزيع الخطاب بمداه على المتبارزين خصوصا وجيش قريش عموما. إلا أن ذلك التغيير في الفعل لا يُنشد التغيير في أنظمة الممارسة الاجتماعية، فهو خطاب ناتج من بنية اجتماعية راسخة منذ أجل طويل تتميز بالهيمنة وإثارة النعرات والسب والشتم والاعتداء إلى غير ذلك من التصورات السلبية التي تمثل (مضمون) الشخص القرشي المتسلط قبل الإسلام.

#### 4.3. إعادة الإنتاج والصراع الاجتماعي في حادثة المبارزة:

تحلّل هذه الفقرة الآثار التي أنتجتها واقعة المبارزة؛ فهي واقعة تندرج ضمن ممارسة أوسع هي غزوة بدر الكبرى، إلا أن لواقعة المبارزة أثرا كبيرا في خلق صراع اجتماعي بين محاولة قريش لإعادة إنتاج السلطة، وصراع المسلمين من أجل البقاء ونشر التعاليم الإسلامية المناهضة للنظام الاجتماعي السائد؛ إن لم نقل: إنها تأخذ المركز في الأهمية في غزوة بدر الكبرى عموما، إذ يشكل ما أسفرت عنه واقعة المبارزة عصب ذلك الصراع وإعادة تشييد النظام الاجتماعي.

تمثل عملية إعادة الإنتاج وسيلة من وسائل ترسيخ (هيمنة السلطة) بالمحافظة على السلطة، أو زيادتها بتقويتها، ويطلق هدف الحفظ على السلطة ما يسميه ماركس بـ(عملية الإنتاج البسيطة)؛ فهي عملية تسعى إلى المحافظة على الإنتاج كما هو بإعادة تنظيم المجتمع، وينتمي الهدف الثاني (تقوية السلطة) إلى ما يسميه ماركس بـ(عملية الإنتاج الموسعة)(ر.بودون وف.بوريكو، 1986، صفحة 41)(حيدر غضبان، 2023، صفحة 1151).

يظهر مما سبق أن عملية إنتاج السلطة تتعلق بمن له هيمنة ويتصف بالاحتكار، وهو ما يتمثل بقريش ذات النفوذ والاستبداد. أما المسلمون فهم عنصر مقاوم فاقد للسلطة ويبحث عن تعرية التقاليد الاستبدادية الممثلة بسلطة قريش وإعادة تشييد النظام الاجتماعي عبر خطابات مناهضة ومحرضة. لهذا فلا توفر خصائص (عملية إعادة إنتاج السلطة) في المسلمين لما تبين لنا من افتقارهم للسلطة من جهة، ولتمثيلهم مقاومة الاستبداد والهيمنة في تقاليد قريش التي تتجلى فيها (إعادة إنتاج السلطة).

فهل نجحت قريش في إعادة إنتاج سلطتها بالحفاظ عليها أو تعزيزها؟

تمر عملية تسليع الخطاب بمراحل؛ الإنتاج والتوزيع والاستهلاك. وقد مرّ أن عملية إنتاج الخطاب القرشي كانت مبنية على إنشاء خطاب تتستر فيه مقاصد غايتها القضاء على مقاومة المسلمين ودعوتهم لتغيير التشييدات الراسخة، وقد كانت تلك الخطابات مبنية على إثارة النعرات أو التعظيم أو التعيير أو الإكراه... الخ. وقد ساهم في عملية الإنتاج سادة قريش ووجهائهم. أما عملية التوزيع فكانت محصورة بالقرشيين فقط. ولما كانت آلية التوزيع قائمة على الإكراه لخوض الحرب فإن عملية الاستهلاك ستكون عن غير إقناع.

يأتي كل ذلك التسليع لإعادة إنتاج السلطة، ومما لا شك فيه أن الطموحات كانت لتعزز هيمنة سادة قريش وليس الحفاظ على تلك الهيمنة فقط.

مما سبق نستطيع أن نستشرف نتائج المباراة بين قادة قريش وقادة المسلمين؛ فقريش خسرت المباراة بمعنى أنها فشلت في إعادة إنتاج نفسها. وقد كان لخسارة قريش في المباراة نتيجتان، إحداهما: قربة الأجل بالانكسار النفسي لجيش المشركين (أصحاب السلطة والهيمنة) بموت أهم قيادتين فيهما وهما عتبة وابنه الوليد، وارتفاع معنويات جيش المسلمين (ذوي المقاومة) وهمتهم. والأخرى: بعيدة المدى إذ خلّفت تلك الحادثة نوازع الثأر والاقتصاص من قاتلي سادة قريش. من هنا تظهر مركزية المباراة في رسم أهمية غزوة بدر الكبرى.

من حيث الأجل البعيد، بدأت قريش إعادة إنتاج نفسها بعد غزوة بدر الكبرى، بإعادة تسليع خطابها بعملية إنتاج خطابي يحمل شعار الثأر لسادة قريش الذين قتلوا في غزوة بدر الكبرى والقضاء على المسلمين وبعده أبو

سفيان هو منتج هذا الخطاب. أما التوزيع فقد أخذ مساحة أكبر لتضم بقية القبائل العربية واستدعاء فرسان القبائل الأخرى لمحاربة المسلمين في غزوة أحد المعروفة.

#### 4. الخاتمة:

يمكن تلخيص أهم نتائج البحث بما يأتي:

- تبحث المقاربة الجدلية العلائقية تهدف المقاربة الجدلية العلائقية إلى دراسة نمطين من الممارسات الخطابية، أحدهما: ممارسات خطابية تعيد إنتاج السلطة وتحافظ عليها أو تزيدها، وهي ممارسات مهيمنة تحاول المحافظة على استعباد المستهلكين واحتكار السلطة، ويخلو هذا النوع من الممارسات من الصراع الاجتماعي. والنمط الآخر من الممارسات الخطابية هو ذلك النمط الذي يتضمن صراعا اجتماعيا، من حيث محاولة المستهلكين تغيير النظم الخطابية وإعادة تشييد العلاقات الاجتماعية ليجابه بذلك هيمنة الممارسات الخطابية المهيمنة، ويكون خطابا مواجهًا ومقاوما للهيمنة.
- تنتمي الممارسات الخطابية في واقعة المبارزة في غزوة بدر الكبرى إلى الممارسات الجدلية التي يظهر فيها الصراع الاجتماعي بين ممارسات خطابية مهيمنة ممثلة بقريش وممارسات خطابية مقاومة ورافضة لتلك الهيمنة ممثلة بجيش المسلمين.
- تناول البحث حادثة المبارزة في غزوة بدر الكبرى بالتحليل الجدلي على وفق رؤية فيركلاف بالرصد التاريخي لتلك الممارسة بوصفها ممارسة داخل ممارسة اجتماعية أوسع هي ممارسة الحرب. وقد أماط البحث اللثام عن ماهية القوى المتصارعة بين قوة مجددة وقوة تسعى إلى ترسيخ السلطة المتوارثة والحفاظ عليها، ولعل أهم ما في محاولتنا تلك أننا بدأنا من البنية الاجتماعية غير الخطابية بوصفها وعرض مكوناتها في الطرفين المتصارعين، ثم بيننا أثر الخطاب في محاولة ترسيخ تلك البنى أو إضعافها.
- كشف البحث عن إمكانية تطبيق فكرة تسليع الخطاب على أي خطاب أو ممارسة اجتماعية تهدف إلى تعزيز المصالح الشخصية وفرض الهيمنة في أي زمان أو مكان، لأن تلك الممارسات تجرد الخطابات من أغراضها الاجتماعية والتربوية الحقيقية تُسخر لأغراض نفعية شخصية، وتأتي تلك النتيجة بناء على الكشف عن آليات محاولة قريش لتسليع خطابها وتحشيد المقاتلين لغزوة بدر الكبرى ومدى نجاحهم في ذلك التحشيد.
- يمكن القول: إن محاولة قريش في ترسيخ بنى الهيمنة واحتكار السلطة قد باءت بالفشل بسبب عوامل عرضها البحث بالتفصيل، مع نجاح المسلمين في إعادة بناء التشييدات الاجتماعية بانتصارهم في تلك الغزوة. ومن ثم حاولت قريش إعادة إنتاج نفسها عبر حروب أخرى ممثلة بواقعة أحد.



## قائمة المصادر:

- القرآن الكريم
- إبراهيم العلي (ت1425هـ). (1995). *صحيح السيرة النبوية* (المجلد الأولى). (تقديم: د. عمر سليمان الأشقر، راجعه: د. همام سعيد، المحرر) الأردن: دار النفائس للنشر والتوزيع.
- ابن الأثير (ت630هـ). (1997). *الكامل في التاريخ* (المجلد الأولى). (تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، المحرر) بيروت-لبنان: دار الكتاب العربي.
- ابن حبان (ت354هـ). (1417هـ). *السيرة النبوية وأخبار الخلفاء* (المجلد الثالثة). (صححه وعلق عليه: الحافظ السيد عزيز بك وجماعة من العلماء، المحرر) بيروت: الكتب الثقافية.
- ابن هبيرة (560هـ). (1317هـ). *الإفصاح عن معاني الصحاح*. (تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد، المحرر) دار الوطن.
- أبو عبد الله الحاكم. (1990). *المستدرک على الصحيحين، مع تضمينات الذهبی فی التلخیص والمیزان والعراقي فی أماليه والمنائوي فی فیض التقدير وغيرهم* (المجلد الأولى). (دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، المحرر) بيروت-لبنان: دار الكتب العلمية.
- أبو فرج الأصفهاني. (2008). *الأغاني* (المجلد الثالثة). (إبراهيم السعافين والأستاذ بكر عباس تحقيق: د. إحسان عباس ود، المحرر) بيروت: دار صادر.
- أحمد محمد العليمي باوزير. (1980). *مرويات غزوة بدر جمع ودراسة وتحقيق* (المجلد الأولى). مكتبة طيبة.
- ألفليد مارشال مونجمري. (2021). *الحرب عبر التاريخ*. (تعريب وتعليق: العميد فتحي عبد الله النمر، المحرر) القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
- جلال الدين السيوطي (ت911هـ). (2005). *جمع الجوامع المعروف بـ(الجامع الكبير)*. (تحقيق: مختار إبراهيم الهائج وعبد الحميد محمد ندا، وحسن عيسى عبد الطاهر، المحرر) مصر-القاهرة: الأزهر الشريف.
- جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي (ت597هـ). (1992). *المنتظم في تاريخ الأمم والملوك*. (تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، المحرر) بيروت: دار الكتب العلمية.
- جواد علي. (2001). *المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام*. دار الساقى.
- حيدر غضبان. (حزيران، 2023). *جدلية الممارسة الخطابية والتشبيبات الاجتماعية*. مجلة العلوم الإنسانية.
- ر. بودون وف. بوريكو. (1986). *المعجم النقدي لعلم الاجتماع* (المجلد الأولى). (د. سليم حداد، المترجمون) ديوان المطبوعات الجامعية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
- روث فوداك وميشيل مايير. (2014). *مناهج التحليل النقدي للخطاب*. (مراجعة وتقديم: عماد عبد اللطيف، المحرر، و حسام أحمد فرج وعزة شبل، المترجمون) القاهرة: المركز القومي للترجمة.
- سعد عبود سمار. (نيسان، 2013). *عادات الحرب عند العرب قبل الإسلام*. مجلة كلية التربية جامعة واسط.
- شمس الدين الكرماني (ت786هـ). (1981). *الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري* (المجلد الثانية). بيروت-لبنان: دار إحياء التراث العربي.
- صالح موسى درادكة. (1986). *الحرب عند القبائل العربية في الجاهلية*. مجلة المؤرخ العربي، العدد 29.

- عبد العظيم المنذري (ت656هـ). (1987). مختصر صحيح مسلم (المجلد السادسة). (تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المحرر) بيروت-لبنان: المكتب الإسلامي.
- عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري (ت213هـ). (بلا تاريخ). السيرة النبوية لابن هشام. (تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، المحرر) شركة الطباعة الفنية المتحدة.
- محمد أحمد باشميل. (1974). الكتاب الأول، من معارك الإسلام الفاصلة، غزوة بدر الكبرى (المجلد السادسة). دار الفكر.
- موسى بن راشد العازمي. (2011). اللؤلؤ المكنون في سيرة النبي المأمون "دراسة محققة للسيرة النبوية" (المجلد الأولى). (تقريظ: د.محمد رواس قلعة جي والشيخ عثمان الخميس، المحرر) الكويت: مكتبة العامرية.
- نور الدين الهيثمي (ت807). (1994). مجمع الزوائد ومنبع الفوائد. (تحقيق: حسام الدين القدسي، المحرر) القاهرة: مكتبة القدسي.
- نورمان فاركلوف. (2009). تحليل الخطب التحليل النصي في البحث الاجتماعي (المجلد الأولى). (د. طلال وهبة، المترجمون) العراق - البصرة، بيروت - لبنان: المنظمة العربية للترجمة.
- نورمان فيركلاف. (2015). الخطاب والتغير الاجتماعي (المجلد الأولى). (محمد عناني، المترجمون) القاهرة: المركز القومي للترجمة.
- نورمان فيركلاف. (2016). اللغة والسلطة (المجلد الأولى). (محمد عناني، المترجمون) القاهرة: المركز القومي للترجمة.